

جامعة ابن خلدون - تيارت-

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

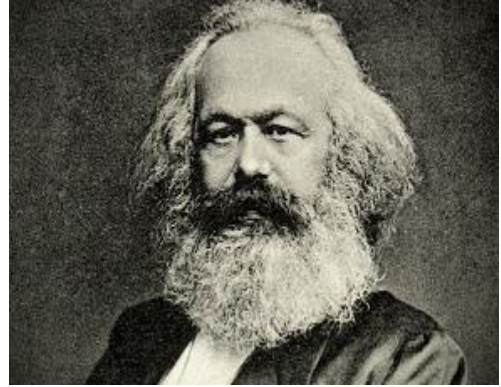
مقياس: تاريخ الفكر السياسي

السنة: أولى علوم سياسية

الأستاذ: عمر بكـيري

"الاشتراكية العلمية عند كارل ماركس"

أولاً: كارل ماركس المولد والنشأة



ولد "كارل ماركس" سنة 1818 بألمانيا من عائلة

برجوازية يهودية (اعتنق البروتستانتية لاحقاً)، والده كان محاسباً مرموقاً، درس الحقوق والفلسفة وتحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة المادية الأبيقورية سنة 1841، في عمر الثالثة والعشرون سنة.

تأثر بفلسفة "هيجل" الجدلية خاصة فكرته حول اعتبار صراع الأفكار هو المحرك الأساسي لعجلة التاريخ، فاستعار منه جدليته التاريخية و طبقها وفقا لرؤيته المادية، معتبرا أن التاريخ ما هو إلا صراع بين الطبقات، وأن الرأسمالية تحتوي بذور فنائها.

توفي "ماركس" سنة 1883 عن عمر يناهز 65 سنة، تاركا إنتاجا فكريا غزيرا أهمه: البيان الشيوعي، بؤس الفلسفة، رأس المال، نقد الاقتصاد السياسي...الح.

ثانيا: الجدلية المادية عند ماركس

تأثر "ماركس" بفلسفة "هيجل" في التاريخ والتي تقوم على أساس اعتبار أن التاريخ في حركة تغير مستمر، و أن تاريخ البشرية يتحرك بفعل الصراع بين الأفكار. لقد تبني "ماركس" نظرية "هيجل" لكنه رأى أن تاريخ البشرية يتطور نتيجة الصراع بين القوى المادية وليس الأفكار، لأن المادة هي التي تصنع الأفكار، وبالتالي فالمجتمع يتطور نتيجة الصراع بين من يملكون وسائل الإنتاج و من لا يملكونها، فالصراع مادي طبقي يتحول إلى صراع فكري لأن الأفكار تأتي لتبرير الواقع أو تغييره خدمة لفئة معينة.

يرى "هيجل" أن كل فكرة تحتوي على نقيضها، و يحدث الصراع و الجدل بين الفكرتين، فتنتج فكرة جديدة، و هكذا يتكرر الأمر و يتطور التاريخ الذي هو تاريخ الأفكار، بينما يرى "ماركس" على العكس من ذلك أن التناقض المادي و الصراع الطبقي هو الذي يحرك التاريخ، فالتاريخ عنده هو تاريخ مادي لصراع الطبقات، بدأ في المجتمع المشاعي، الذي انتقل إلى المجتمع العبودي بظهور الملكية (ملكية الأرض و أدوات الزراعة)، ثم تحول المجتمع إلى مجتمع إقطاعي قائم على استغلال الأقدان مكان العبيد، نتيجة الصراع حول وسائل الإنتاج و أهمها الأرض، ثم انتقل المجتمع البشري إلى مرحلة جديدة هي المجتمع الرأسمالي الصناعي، نتيجة للصراع الطبقي حول وسائل الإنتاج، فظهر هذا الشكل الجديد، و سوف يستمر الصراع إلى أن تتملك الطبقة العمالية وسائل الإنتاج و يتحول المجتمع إلى الاشتراكي، ثم إلى شيوعي كآخر مرحلة في تطور التاريخ البشري.

يرى "ماركس" أن السيطرة على قوى الإنتاج سوف تخلق نوع من علاقات الإنتاج، وهي شبكة العلاقات المجتمعية التي يحددها عنصر الملكية، وبالتالي تنشأ علاقة السيد

بالعبد مهما اختلفت أشكالها على مر التاريخ، فهي تعبر عن علاقة السيطرة بين من يملك قوى الإنتاج وبين من يشغلها، فالطبقة المالكة تأمر والطبقة غير المالكة تطيع و تنفذ، و حتى يستمر الوضع القائم، تقوم الطبقة المالكة بتشديد البناء الفوقي للمجتمع، الذي يتكون من عناصر غير مادية أهمها نظام الحكم، القانون، الدين، المنظومة الأخلاقية...الخ، فالطبقة المتسيدة في هذا المجتمع تُشيد هذا البناء لتستخدمه في تبرير موقعها المتسيد في المجتمع والحفاظ عليه.

يؤمن "ماركس" أن أي تغيير في قوى الإنتاج سيؤدي بالضرورة إلى تغيير علاقات الإنتاج، و هذا يعني إحداث تغيير في المنظومة الطبقيّة في المجتمع، و صعود طبقة جديدة، و هذه الطبقة الجديدة بعد تسيدها داخل المنظومة المجتمعية، ستعمل على تغيير البناء الفوقي للمجتمع بالضرورة، لتبرر و تدافع و تحافظ على وضعها و موقعها المسيطر.

يرى "ماركس" أن التغيير الحقيقي في المجتمع يبدأ بالبنية التحتية، أي في قاعدة المجتمع المكونة من قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج، التي سوف تؤدي لاحقا إلى تغيير شامل في البناء الفوقي للمجتمع، لذلك يرى "ماركس" أن الصراع الطبقي هو القاطرة المحركة للتاريخ، و أن علاقات الإنتاج الناتجة عن قوى الإنتاج تخلق ثقافة مجتمعية مقبولة لدى الجميع، كنوع من القبول العام بالوضع القائم المبني على السيطرة و الخضوع، و هنا يحدث توتر بين الطبقتين لفترة معينة، لكن بمرور الوقت سوف يحدث اختلال مع تغيير في قوى الإنتاج و تحاول الطبقة الجديدة الصعود و احتلال موقع أفضل، لكنها تلقى مقاومة من الطبقة المسيطرة، و هنا يحدث التوتر و يتحول إلى صراع ينفجر في النهاية في شكل ثورة تأتي بالطبقة الجديدة إلى القمة، و تبدأ هي الأخرى في تغيير البناء الفوقي للمجتمع تدريجيا، و خاصة تغيير عناصر ثقافة المجتمع بما يحقق مصلحتها.

ثالثا: المجتمع الشيوعي عند ماركس

طبق "ماركس" نظريته المادية الجدلية على المرحلة التاريخية التي يعيش فيها، و هي المجتمع الرأسمالي الصناعي، فاعتبر أن الرأسمالية تحتوي على بذور فنائها، لأنها تحتوي في داخلها على طبقة البروليتاريا (الطبقة العمالية)، التي سوف تسعى لامتلاك وسائل

الإنتاج و تقوم بثورة لتؤسس المجتمع الشيوعي كبديل عن المجتمع الرأسمالي، حيث تتم هذه العملية وفق ثلاث مراحل هي:

1. المرحلة التمهيدية:

يتسيد النظام الرأسمالي في هذه المرحلة، و لا يكون هناك توتر بين طبقة أصحاب رؤوس الأموال و طبقة العمال، لكن بمرور الوقت يتضح الاستغلال الفاحش، لأن العامل لا يحصل على ما يوافق جهده المبذول، ففائض القيمة هو من حق العامل، لكن صاحب رأس المال يأخذه جزافا، و يصبح العامل هنا مجرد سلعة متوفرة تنخفض قيمتها بسبب التطور الصناعي، عندها تنخفض أجور العمال و يحدث الاستغلال الفاحش.

تؤدي المنافسة بين أصحاب رؤوس الأموال إلى زيادة استغلال العمال إلى أقصى درجة، و بسبب التقدم الصناعي يتم استبدالهم بالآلة و يخفّض عددهم، فتحدث لهم بطالة إجبارية، كما يقود التقدم الصناعي كذلك إلى الرأسمالية الاحتكارية، عندها تنكمش الطبقة الرأسمالية و يصغر حجمها في مقابل ذلك تتسع الطبقة العاملة و يتضخم حجمها، هنا يحدث وعي عند العمال بأنهم هم المتحكمون في وسائل الإنتاج لكنهم لا يملكونها، و تبدأ عملية المطالبة بتعديل الوضع تصاحبها مقاومة من أصحاب الأموال لهم، و يتصاعد التوتر و الاحتجاج ليبلغ حد الثورة، و هي ثورة البروليتاريا من أجل امتلاك وسائل الإنتاج.

2. المرحلة الانتقالية: مرحلة حكومة البروليتاريا

تستهدف ثورة البروليتاريا الانتقال من سيطرة رأس المال إلى مرحلة سيطرة العمال، لكن هذا الانتقال الذي سوف يؤدي في النهاية إلى مرحلة الشيوعية لا يمكن أن يتم بطريقة مباشرة، بل لابد له من مرحلة وسيطة تمهد له، تتضمن فيها بقايا المنظومة الرأسمالية، التي يحتاج العمال لفترة من أجل القضاء عليها كليا، كما أنهم سيحتاجون كذلك إلى منظومة الدولة بمؤسساتها لتحقيق ذلك، فالدولة ستستمر في هذه المرحلة و سيحتاج العمال إلى البناء الفوقي للمجتمع بكل عناصره، لكنهم سيطوعونه بما يخدم مصالحهم.

يصف "ماركس" هذه الحكومة بدكتاتورية البروليتاريا، لأن أي حكومة عنده دكتاتورية بالضرورة، لأن بها طبقة تقهر طبقة أخرى من خلال أدوات سلطوية، لكن دكتاتورية البروليتاريا هي أفضل الدكتاتوريات، لأنها لا تستخدم القهر إلا من أجل القضاء على القهر بالكلية من خلال القضاء على المنظومة الطبقية، كما أنها تستخدم القهر كأداة لتحقيق المساواة والعدالة، عبر إقرار الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج و توزيع المنتج على أساس مبدأ "كل حسب طاقته ولكل حسب عمله"، وهو نفس المبدأ المطبق في المجتمع الرأسمالي.

يرى "ماركس" أن هذا المبدأ مقبول في البداية في المرحلة الانتقالية، التي تتضمن بقايا الطبقة الرأسمالية، فالعامل يحتاج إلى دافع يدفعه إلى العمل والحصول على السلع، أما في المرحلة الشيوعية فسيتم توزيع ناتج العمل على أساس مبدأ آخر "لكل حسب طاقته ولكل حسب حاجته"، حيث سيعمل العامل في هذه المرحلة لأنه يستمتع بعمله، لذلك سوف يعطي أقصى ما عنده دون أن يكون في حاجة إلى دافع مادي، وهنا يتحقق العدل في أن يحصل كل فرد على حسب حاجته، وبهذا تتحقق المساواة في المجتمع وهي مساواة في الإشباع.

3. مرحلة المجتمع الشيوعي:

يرى "ماركس" بأنه من خلال القهر و دكتاتورية البروليتاريا سوف تذوب طبقة الرأسماليين و تنتهي، و بانتهائها يتبقى في المجتمع طبقة واحدة هي طبقة العمال تملك و تشغل وسائل الإنتاج، لذا فالمجتمع الذي تسوده طبقة واحدة هو في الحقيقة مجتمع بلا طبقة، و عند زوال المنظومة الطبقية ستتلاشى الدولة كذلك، و نكون عندها في المرحلة الأخيرة وهي مرحلة المجتمع الشيوعي التي تتسم بـ:

- مجتمع المساواة، ففي هذه المرحلة تسود قيمة المساواة و توزع السلع و الخدمات و الفرص وفق مبدأ كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته.
- مجتمع بلا دولة بسبب عدم الحاجة إليها، في ظل عدم وجود طبقة متسيدة في المجتمع الشيوعي.
- مجتمع غير استهلاكي بلا ملكية خاصة، فتملك السلع لا يصبح له قيمة في ذاته، مادامت حاجة الأفراد يتم إشباعها وفق المبدأ السابق.

■ مجتمع تعاوني و ليس تنافسي، لأن زوال الدولة و الطبقية سوف يبرز الطبيعة الخيرة للإنسان الساعية للكمال.

رابعاً: الحرية عند ماركس:

يرى "ماركس" أن الموهبة حاجة لابد من إشباعها، وهي تعني عنده قدرة الفرد على أن يحقق ذاته من خلال عمل مبدع يفجر من خلاله طاقاته الإبداعية، فيحقق ذاته كإنسان و يحرر موهبته من خلال تنميتها.

لا يرتبط معنى الحرية عند "ماركس" بمعنى الحقوق، فالحرية الليبرالية فردية و سلبية مرتبطة بالمساحة و المجال الذي يتحرك فيه الفرد دون قيود، لكن الحرية عنده ذات معنى ايجابي مرتبطة بالفرصة، وهي تعني قدرة الفرد على أن يحقق ذاته الإبداعية عندما توفر له الفرصة المناسبة، فالإنسان لا يكون حراً عندما يكون قادراً على الاختيار بين عدد كبير من الفرص، لكنه يكون حراً عندما تُهيأ له الفرصة الوحيدة الملائمة له، فالحرية ليست اختياراً بل إشباعاً للموهبة و تنميتها.